كيف تحقق الاثار التاريخ[1] ؟

جزئيات المحاضرة

التمهيد — ماهو علم الآثار — ما هي انواع الآثار — كيف قسم العلماء الآثار — ما فائدة الآثار — ما علاقة الآثار بالعلوم — هل عرف العرب التماثيل والصور — كيف جمعت الآثار — ما هي قيمة الآثار — كيف تحقق الآثار التاريخ — الختام

تمهيد

تصفُ الدارُ لنا قُطّانها والمعالي والمساعي والنجارا
واذا لم تدر ما قومٌ مضوا فاسأل الآثار واستنبِ الديارا

لله در الشريف الرضي في قوله هذا منذ قرون اذ أهاب بالناس ان يقتبسوا تاريخ اسلافهم من آثارهم واطلالهم . كما فعل كثير من الشعراء والعلماء والمؤرخين والاثريين من شرقيين وغربيين في الحث على حفظ الآثار . فهل من منكرٍ اذن فائدتها في تاريخ الامم والممالك والبلدان ؟

وهل يسوغ لنا ان نهمل آثارنا مطروحة في الحقول والبراري والانقاض ليحطمها الجهلة . او ينقلها غيرنا الى متاحفهم و يستفيدوا منها علماً وعملاً ؟

وهل يجوز ان نبيعها لغيرنا طمعاً في كسب دراهم تافهة ليزينوا متاحفهم متجرين بها ورابحين اموالاً طائلة ونخسر نحن فوائدها التاريخية ؟

وهل يُعد كافينا بجمع الآثار واحرازها بدعة كما يتوهم بعضهم وتلك آثار مصر والمغرب والقدس والاناضول والآستانة تملأ المتاحف وكلهم من جنسنا الشرقي ؟

(١) المحاضرة التي القاها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في ردهة المجمع الكبرى يوم الجمعة في ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٢٢ الساعة الرابعة مساء .

وهل يبرّئنا التاريخ من هذا التقصير وقدمرّ علينا الدهر باحقابه المتطاولة ونحن مهملون هذا الأمر الخطير ؟

وهل يصحّ لنا تاريخ او يُعرف لنا شأن او تذكر لنا حضارة اذا لم تؤيد آثارنا اقوال كتابنا عنها ؟

وهل تبقى سوريا المحبوبة بلامتحف يجمع عادياتها و يستقدم اليها السيّاح والمتفرجين وفيها من آثار المدنية ما فيها ؟

وهل ... ؟ وهل ... ؟

لا لعمري لا يسوغ لنا شيء من ذلك لان الآثار تحقق التاريخ وتثبت ما كان صحيحاً منه وتنقض المكذوب فيه .

ما هو علم الآثار ؟

الأثر لغة ما بقي من رسم الشيء . والرسم هو اثر الدار ونحوها من الأعيان المشخصة . فيكون الاثر ما يبقى بعد الذاهبين . واصطلاحاً هو ما تدرك به شؤون الامم البائدة او القديمة اما من ابنية شيدوها او صناعات اتقنوها او تماثيل نحتوها او كتابات نقشوها او نقود صكّوها او اختراعات ابتكروها او علوم دوّنوها او فنون اهتدوا اليها او كتب خطّوها ونحو ذلك .

فيدخل تحت الابنية المدن والهياكل والصروح والمدافن . وتحت الصناعات التماثيل والنقوش والاواني والاسلحة . وتحت الكتابات ما على الصخور والفخار (الآجر) والصفائح المعدنية او العظمية او البردية او الرقية من الانباء . وتحت النقود ما عرف من انواعها وصورها واجناس معادنها وطرق صكّها واساليب طرازها . وتحت الاختراعات ما عرفوه من آلات وادوات ونحوها . وتحت العلوم ما دوّن على الفخار والبردي وفي الكتب من معارف الدارجين . وتحت الفنون ما عرفوا من التصوير والموسيقى ونحوهما . وتحت الكتب ما تركوا لنا من المخطوطات على اختلاف انواعها واساليبها ومباحثها سواء كانت بسيطة الخط او جميلته متقنة التجليد او مهملته .

فغاية علم الآثار اذن معرفة آداب من تقدمنا واستطلاع اخلاقهم وعاداتهم

وصناعاتهم واديانهم وخرافاتهم ومعارفهم . وبالجملة كل ما يعزى اليهم و يتعلق بهم مما يميط النقاب عن الحقائق الغامضة و يبدد غيوم الاوهام والخلط في المباحث التاريخية التي هي صورة الانسان المعنوية فلا يسوغ ان تشوه او تحسن بل يجب ان تنقل كما هي لا كما يجب ان تكون مثلما ينقل المصور الشمسي صورة الانسان الحي فيمثله بملامحه الطبيعية ومميزاته الخلقية حتى لا يشك من يراه انه هو هو بعينه ومشخصاته والا ضاعت الاصول وفسدت الحقائق والتبست الاعيان .

فالآثار انما هي السنة قوم قد مضوا تصرح بحروف غير مكتوبة احياناً عن عمرانهم وذكائهم وصناعاتهم وما كانوا عليه من بسطة العيش او شظفه والعمران او الانحطاط الى غير ذلك من التطورات .

فلنا بالآثار عبر لنقتدي بمن احسن العمل ونعرض عمن اساء ونستفيد من المجتهدين والمتمدنين حضارة نفسها الى ماعندنا ونربأ بانفسنا عن الكسل والاهمال لانهما آفة البشر وعامل التأخر .

وسمي العالم بالآثار (أثرياً) . وعرف علم الآثار عند الافرنج باسم (Archéologie) اركيولوجي وهي كلمة يونانية مركبة من لفظتين (أرشيو) اي الآثار و (لوجيا) اي الكلام فالمعنى (البحث عن الآثار) ومنها اشتقت بقية الصيغ .

اما كلمة (Antiquité) اي انتيكيته فهي لاتينية تعني شيء قديم فلذلك وضع لها المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني كلمة العادي والجمع العاديات نسبة الى قبيلة عاد العربية المنقرضة لانها آثار المنقرضين . وقد شقوا منها الفاظاً في اصطلاحاتهم للتعبير عن هذه الاشياء . كما اخذنا نحن مشتقات مختلفة من تلك الأصول .

ما هي انواع الآثار ؟

لا خفاء ان من الآثار ما هو معروف وموجود مثل ما اكتشف و يكتشف . وما هو معروف غير موجود كنقود ملوك الرعاة المصريين المعروفين بالهكسوس . و كنقود

ما علامة الآثار بالعلوم ؟

ان البحث عن آثار الانسان القديمة قبل زمان التاريخ يسمى علم الاركيولوجية ويجمع بين الجيولوجية اي علم طبقات الارض وبين التاريخ . والبحث عن الصور والرموز الأثرية يسمى الايكونولوجية . والبحث عن التاريخ والآثار معاً يسمى علم الانتروبولوجية اي علم طبائع البشر . والبحث عن الآثار الانسانية الكليوتولوجية . وسرد الحوادث بحسب وقوعها الكرونولوجية . والبحث عن النقود وصكها النوميسماتيك . والبحث عن الاحافير وما فيها من الآثار علم البليونتولوجية اي علم الرفات . والبحث عن خصائص الشعوب الايتنوغرافية . والبحث عن الديانات والعبادات علم الميتولوجية الخ . وبحسب هذه العلوم والآثار قسمت اعصر التاريخ الى ثلاثة (الاول) وهو العصر الحجري الصواني و (الثاني) النحاسي و(الثالث) الحديدي . وعرفت فلسفة التاريخ او التاريخ الفلسفي وهو ربط الاسباب بالنواميس العامة في البشر والطبيعة .

وفرّع التاريخ بحسب الشؤون والابحاث والمواضيع الى فروع لا محل الآن لسردها .

ولكن التاريخ كيفما كان لا غنى له عن علم العاديات والاحافير لانها اركانه التي يعتمد عليها .

ومن احسن ما قيل في تأثير التاريخ على الانسان كلام الامام السخاوي المؤرخ الشهير : « من حفظ التاريخ زاد عقله . ومن نظر في وقائع الزمان هانت عليه مصيبته » .

فالعلوم المساعدة للتاريخ اذن هي : علم الآثار . والكتابات الحجرية . والمخطوطات القديمة . وعلم الاوقات . والجغرافية . وانتقاد المصادر اي فلسفة التاريخ وغيرها .

هل عرف العرب التماثيل والصور ؟

عندنا ادلة كثيرة على ان العرب عرفوا التماثيل في اليمن وغيرها ووضعوها في قصورهم من انسان وحيوان . واشتهر بها الفرس والاندلسيون وصوروا النقود ولا سيما في عهد السلاجقة وربما كان اقدمها ما صك سنة ٥٩٧ه (١٢٠٠م) وعليه صورة فارس ملثمة . وقد ذكر بول كازانوفا : ان احد سياح العرب في آخر القرن التاسع للميلاد شاهد في الصين وغيرها صورة النبي محمد (صلعم) و كبار رجال الاسلام . وكان التصوير البيزنطي

الفينيقيين وكتاب ستكنياتون اقدم مؤرخ مدني في العالم يعاصر موسى النبي . وكتابوت العهد الاسرائيلي ونحو ذلك .

ومنها ما هو نادر الوجود كآثار ادوم ومؤاب ونقودهما ونقود تيطس قيصر الخاصية التي ضربها في اورشليم تذكاراً لانتصاره يوم حاصرها ولم يقف الاثريون الا على بضع قطع منها في متاحف اوربة

ومنها ماهو كثير الوجود كنقود الاسكندر وهذه اكتشف بعضها الدكتور جول روفيه الفرنسي وكنقود قسطنطين الملك ونقود الرومان والمومياء المصرية واشباهها .

كيف قسم العلماء الآثار ؟

لقد قسم الاثريون علم العاديات الى قسمين (احدهما) بالنسبة الى القبائل واللغات القديمة و(الثاني) بالنسبة الى الزمان . فمن (اقسام الاول) آثار المصريين والفينيقيين والآشوريين والبابليين والكلدانيين والفلسطينيين واليونانيين والرومانيين والعرب والصليبيين والبندقيين والعثمانيين . ومن (اقسام الثاني) اقدم العصور المعلومة مثل عصر الخليقة الى زمن موسى النبي سنة ٢٥٠٠ ق م والعصور القديمة كالفينيقية والآشورية والمادية والعبرانية والهندية واليونانية والرومانية والعربية الجاهلية . والعصور المتوسطة كالقيصرية الشرقية والمغولية والغوتية والعربية . وكالعصور المتأخرة كالصليبية والبندقية والافرنجية والعثمانية .

وفي كل منها ابحاث مستفيضة وتفاصيل وافية في الكتب والمجلات والجرائد عند الافرنج .

ما فائدة الآثار ؟

ان للآثار اليد الطولى في تصحيح التواريخ القديمة وتمحيص الآراء المضطربة وكشف الحقائق الغامضة ومعرفة صناعات القدماء وشؤونهم .

فلولاها لما حققت كتابات قدماء المؤرخين مثل هيرودوتوس اليوناني وستكنياتون الفينيقي وما نيثون المصري وبيروسوس الكلداني ويوسيفوس العبراني وسالسته الروماني وديودورس الصقلي وفيلون الجبلي والتوراة . والتواريخ الاخرى كما سترى .

شائعاً في الدولة الاموية ومنه الفسيفساء . وذكر المقريزي : الصور الاسلامية بتطويل ولا سيما في زمن الفاطميين وعدد اسماء المصورين ومنهم احمد بن يوسف ومحمد بن محمد الملقب كل منهما بالمصور وابن خرج البلنسي سمي بالذهبي لان جده كتب وصور بالذهب . وذكر ان شجاع الدين بن ضياء صاحب السلطان بيبرس قد حمل الى بركة امير المغول لما سار بسفارة اليه ثلاث صور صنع يده تمثل هيأة الحج . ومن نقوشهم البديعة المخططات (الخارطات) ونقوش المرايا العربية وصور الافلاك والاسطرلابات وكتب مناسك الحج صوروا فيها الكعبة وغيرها وكذلك المعراج وميزان الشعراني ودلائل الخيرات وفي مكتبتي بعضها وفي المكاتب كثير منها .

ومن الدواوين العربية (ديوان الصبابة للتلمساني) رأى منه نسخة فيها صور ابناء الامراء الاستاذ العلامة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري وفي مكتبة باريز (المقامات الحريرية) بخط يحيى الواسطي سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٦م) فيها صور بديعة يمثل بعضها جيش العباسيين يحملون العلم الاسود وينفخون بابواق فارسية ضخمة . وبعضها رعيل جمال امامها راع . وبعضها صور نساء ورجال امام قصر نغم ورسم آخر يمثلهم تحت شجرة وعندي بعض امثلتها منقولة بالتصوير الشمسي عن كتاب الفنون العربية في المدرسة الشرقية في زحلة نشرت بعضها في مجلة الآثار في مقالة (التصوير في الكتب) ومقالة (المرايا عند العرب) والباقي معدٌّ للنشر .

وذكر ياقوت في معجم البلدان قصر المتوكل المسمى (المختار) كانت فيه صور بينها صورة بيعة فيها رهبان واحسنها صورة شهار البيعة حتى قال الواثق يصفها :

ما رأينا كبهجة المختار ... لا ولا مثل صورة الشهار

ووجدت ثياب وطنافس قديمة عربية منقوشة عليها رسوم حيوانات وآدميين وبعضها قبل الاسلام .

وصوروا في قصورهم الجيوش المتحاربة ونحوها كما في لسان العرب موصوفة بقول شاعرهم :

فيه الغواة مصورو ن فحاجلٌ منهم وراقص
والفيل يرتكب الردا ف عليه والاسد القصاقص

وقول ابي الصلت امية الاندلسي في وصف قصر (منازل العز) المصري :

وبارجاله عجال طراد ليس تنفك من وغى خيلاهُ
تبصر الفارس المدجج فيه ليس تدمى من الطعان قناه
وترى النابل المواصل للنزع ـ بعيداً من قرنه مرماه
وصفوفاً من الوحوش وطير الجو كل مستحسن مراه
سكنات تخالها حركات واختلاف كانه اشباه

ومما يدل على تقدمهم المصورة قول البحتري في نقود سيف الدولة المهداة اليه:

نحن نجود الامير في حرم نرتع بين السعود والنعم
ابدع من هذه الدنانير لم يجر قديماً في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته في دهرنا عوذة من العدم

وفي بعض المتاحف تماثيل من صنع ملوك الاسلام منها في بيزا بايطالية تمثال بديع النقش من صنع الفاطميين في مصر .

وفي معجم البلدان ان اوس بن نعلبة التيمي صاحب قصر اوس في البصرة كان نادماً الى الشام فر بتدمر فاعجبته فيها تماثيلها وحرك قريحته تمثالا جاريتين من حجر فقال:

فتاتي اهل تدمر خبراني الا تسأما طول القيام
قياما كما على غير الحشايا على جبل اصم من الرخام
فكم قد مر من عدد الليالي لعصركما وعام بعد عام
وانكما على مر الليالي لابقى من فروع ابني بشام

الى آخر الابيات فلما انشدها يزيد بن معاوية بن ابي سفيان في هذه العاصمة قال: يزيد: « لله در اهل العراق هاتان الصورتان فيكم يا اهل الشام لم يذكرهما احد منكم غير هذا العراقي مرة فقال ماقال » . ولقد وصفهما ابو الحسن العجلي بقوله:

ارى بتدمر تمثالين زانهما تأنق الصانع المستغرق الفطن
هما اللتان يروق العين حسنهما يستعطفان قلوب الخلق بالفتن

وقال البحتري في وصف صور ايوان كسرى في المدائن من قصيدة بديعة:

فاذا ما رأيت صورة انطاكية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وانو شروان يزجي الصفوف تحت الدرفس

تصف العين انهم جد احيا ثم يبدو اشارة خرس
يغلي فيهم ارتيابي حتى لتقراهم يداي بلمس

وقال ابو عمران الكردي في تمثال ابرويز ملك الفرس ممتطياً فرسه شبديز وقربه جاريته شيرين بالوان بديعة:

وهم نقروا شبديز بالصخر عبرة وراكبه برويز كالبدر طالع
تلاحظه شيرين والحظ فاتن وتعطو بكف حسنها الاشاجع
يدوم على كر الجديدين شخصه ويلقى قويم الجسم واللون ناصع

وقال شاعر اندلسي في تمثال حجري كان في حمام الشطارة في اشبيلية:

ودمية مرمر تزهو بجيد تناهى في التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلاً ولا ألمت باوجاع المخاض
ونعلم انها حجر ولكن نتيها بالحاظ مراض

وقال التطيلي الاعمى في اسد يمج الماء من فيه في بركة:

اسد ولو اني انا قشه الحساب لقلت صخره
فكأنه اسد الما ء يمج من فيه الجره

وقال صاعد اللغوي في صورة جارية في سفينة تجذف:

واعجب منها غادة في سفينة مكللة يهفو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء ثلقي بسكانها ما انذرته العواصف
متى كانت الحسناء بان مركب تصرف في يمنى يديها المجادف
ولم ترعيني في البلاد حديقة لنقلها في الراحتين الوصائف

وحكى ابن خرداذبه عن فرس نحاس بارض الاندلس باسطر يده كأنه يقول: ليس خلفي مسلك. وقال: ان في مدينة طليطلة تصاوير افرنس مكتوب عليها: لا تفتح هذه الارض حتى يأتيها قوم يشبهون هذه التصاوير . وكانت تلك التصاوير تمثل العرب على خيولهم بعمائمهم وقسيهم .

ومن صور اعضاء الجسم ما في مجموعة طبية في مداواة العيون في المكتبة التيمورية نسخت سنة ٥٩٢هـ (١١٩٥م) بخط عبد الرحمن بن يونس ابن ابي الحسن الانصاري

في ثماني رسائل قديمة منها تذكرة الكحالين للموصلي فيها دوائر ورسوم للعين واسمها «السابعة» وفي لحنين بن اسحق في تركيب العين وعللها وعلاجها ذات خمسة رسوم للعين ملونة بديعة رسم بعضها في تاريخ آداب اللغة العربية للمرحوم جرجي زيدان .

ومن اغرب الكتب المصورة عندنا نسخة من (قانون ابن سينا) شيخ الاطباء في مكتبة السلطان محمود في الاستانة فيها رسوم نباتات واسماك وحيوانات نسخت في القرن الخامس للهجرة . (وعجائب المخلوقات) للقزويني رأيته منذ بضع عشرة سنة في دمشق في مكتبة آل الايوبي وهو مصور بالوان بديعة وقد طبعت ترجمته بالفارسية على الحجر في طهران بالقان في الرسوم والخط .و(مسالك الابصار في سلوك الامصار) لشهاب الدين احمد الكرماني العمري المعروف بابن فضل الله من اهل القرن الثامن للهجرة وهو جزآن في الحيوان والنبات ووجد منه نسخة منقنة في دمشق بصور ملونة بالوانها الطبيعية كانت عند صديقي جرجس بك صفا في لبنان . و(حياة الحيوان الكبرى) للدميري من اهل القرن التاسع للهجرة منه نسخ مصورة تميز الحيوانات وبعض الآدميين وطبع في العجم مصوراً .

وذكر ياقوت الرومي الحموي في معجم الادباء (اي ارشاد الاريب الى معرفة الاديب) مانصه : «وكنت سنة ٦٠٧ه (١٢١٠م) قد توجهت الى الشام وفي صحبتي كتب من كتب العلم انجر فيها وفي جملتها كتاب (صور الاقاليم) للبلخي نسخة رائعة مليحة الخط والتصوير فبعتها من الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب حلب بتخيير المشتري من غير كسب » اه .

وفي مكاتب باريز وبطرسبرج وغيرها كتب عربية ورسوم رجال يرمون النفط وصورهم بالقان وتلوين . ومنها (كتاب الكواكب والصور) لابي الحسن عبد الرحمن الصوفي من اهل القرن الرابع للهجرة وأحد المصورة المتقنة في باريس وبطرسبرج والاسكوريال واكسفورد . وادق نسخة في كوبنهاغ وهي ملونة الرسوم وكواكبه بهيأة ما تمثله من آدميين وحيوانات وطيور بالوانها وطبع في روسيا بدون تلوين ورأيت منه نسخة في المكتبة الاحمدية بحلب سنة ١٩٠٩م وقد كتبت ١٠٠٥ ه (١٥٩٦م)

وفي المكتبة الظاهرية بدمشق قطعة من مخطوط قديم في علم الخيل وفيه صور

بقي منها رسم الحصان بعيوبه وقد كتب مقابل كل عيب اسمه بالعربية وهو رسم جميل دقيق . وفي مكتبة مدرسة (الثلاثة الاقمار) الارثوذكسية في بيروت كتب فلكية مصورة . وفي مكتبة بطنا الهندية كتاب (التصريف في الجراحة) للشيخ ابي القاسم الزهراوي نسخ سنة ٥٨٤ ه (١١٨٨م) وفيه صور الآلات الجراحية بالقان تام (١)

ولقد ظهرت آثار قديمة في الابنية تحقق معرفة التصوير عند العرب من ذلك ان الدكتور هرتسفلد من اساتذة جامعة برلين الذي نقب عن آثار الصناعة الاسلامية في العراق سنة ١٩١١ وجد في مدينة سامرا اطلال جامع بناه المتوكل على الله كما ذكر اليعقوبي وعلى جدرانه نقوش وصور شرقية بارزة وغائرة في الجص (الجبصين) وهناك تصاوير ملوّنة في مواضع الجص المغفلة من النقوش مختلفة الالوان والاشكال بينها صور الآدميين ملونة جميلة الطراز وكذلك قصور العباسيين المصورة .

كيف جمعت الآثار ؟

ولع الناس منذ القديم بجمع آثار من تقدمهم من الامم في متاحف وكان اليونانيون اسبق الناس الى ذلك وعدوا هذا من الفنون فسمي التحف عندهم (Musée) باللغة الافرنسية و(Museum) بالانكليزية منسوباً الى (موزه) إلهة الفنون .

واقدم متحف انشئ في سورية متحف بيروت بزمن اغريبا الثاني الروماني انشأه في القرن الاول للميلاد في هذه المدينة السورية ونقل اليه نفائس التماثيل والنقوش والفنون الصناعية من جميع المدن السورية فاغتاظ منه سكان المدن الاخرى ولاموه على ذلك ولكن سكان بيروت كانوا راضين عنه كل الرضى . والعرب انشأوا في دمشق متحفاً بزمن الامويين لآثار القدماء معتنين بجمع آثار الادب والصناعة والدين سموه (سوق الطرائف) وكذلك كان في بغداد (سوق الطرائف) لبيع النفائس فضلاً عن اسواقهم في عكاظ ومربد البصرة مما كان اشبه بالمتاحف او المعارض .

واول متحف اعلنت به حكومة عربية متحف مصر بزمن الشيخ رفاعه الطهطاوي شيخ ارباب النهضة العلمية في مصر في اوائل القرن الماضي .

(١) وهو الكتاب الذي اهدي اخيراً الى خزانة مجمعنا العلمي .

وفي بلادنا انشئ متحف القدس سنة ١٩٠١ م ومتحف بعلبك نحو سنة ١٩٠٥ م ومتحف صيدا في هذه الفترة ومتحفنا هذا في اوائل سنة ١٩١٩ م ومتحف بيروت سنة ١٩٢٢ .

ما هي قيمة الآثار ؟

لا تقدر قيمة الآثار بحسب كبرها او معدنها او نقشها او جمالها او اشكالها وانما بحسب فائدتها التاريخية فمن الآثار ما هو نادر جداً فهو ذو قيمة ثمينة ومنها ما هو مفيد تاريخياً ومنها ما هو مفيد صناعياً ومنها ما هو مفيد علمياً الى امثال هذه الفوائد الرائعة ولولا هذه القيم لما تبارى الافرنج بنقل الآثار وحشدها في المتاحف والانفاق على حفرها وجمعها وترتيبها وانشاء المجلات لوصفها ووضع المعاجم لتفصيلها وتاريخها وحفظ صورها .

ففي سنة ١٩٠٤ م ظهر في قرية تل المتسلم التابعة قضاء حيفا من بلادنا خاتم لي شمع (اسمه يربعام بن سليمان) من حجر اليشب نقش عليه صورة سبع فاغر فاه وعلى اطرافه اسمه بالعبرية وهو قبل الميلاد بنحو تسعة قرون فقدر ثمنه بخمسين الف فرنك اي الفين وخمس مائة ليرة افرنسية .

وجمع احد اغنياء سان فرنسيسكو في اميركة الشمالية نقوداً قديمة قدرت قيمتها بعشرين الف ليرة انكليزية منها شاقل فضة من ايام داود الملك وهو من نوادر الآثار واقدمها .

وسنة ١٨٧٧ م نقل قائم (مسلة) كيبوبترة من مصر الى لندن ونصب على ضفة نهر التيمس فانفق عليه نحو عشرة آلاف ليرة انكليزية .

وفي المتحف البريطاني آثار منها جثة منكورع المصري باني الهرم الثالث قيمتها قدرت ثمنها بخمسة وسبعين الف ليرة انكليزية . وحجر رشيد الذي قرئت به الهيروغليفية ثمن بعشرة آلاف ليرة . ورخامات البلجن اشتراها اللورد ايلجن سفير انكلترة في الاستانة بسبعين الف ليرة انكليزية ثم نقلها الى لندن سنة ١٨٠٥ م وباعها الى المتحف بنصف القيمة فنسبت اليه مكافأة له .

وفي متحف برلين الالماني نحو سبع عشرة جثة مصرية محنطة أنفقت الحكومة

للحصول عليها ثمانمائة الف مارك . وانفق متحف الاستانة سنة ١٨٨٧ م على نقل آثار صيداء اليه نحو عشرة آلاف فرنك .

وبيع نحو سنة ١٩١٧ م كثير من الآثار باثمان عظيمة مثل تمثال البنة الذي يرجع انه من نحت فيدياس اليوناني الشهير بسبعة آلاف ومائة واربعين ليرة انكليزية . وتمثال انتينوس يحمل الكاس لاريانوس بقيمة ٥٨٨٠ وتمثال هيجيه الهة الصحة بنحو ٤٢٠٠ ليرة وكاس خزفية كانت للملك هنري الثاني بقيمة ٣٧٨٠ ليرة وتمثال امرأة يونانية مما كان يوضع في المعابد تذكاراً بثمن ٣٥٧٠ ليرة .

وفي صيف سنة ١٩٢٣ م ثمنت مجموعة النقود القديمة التي كان يحرزها (دوق) كلياريا بنصف مليون فرنك تقريباً وعدد النقود المجموعة لا يتجاوز الفاً ومائتي قطعة فقط .

وفي صيف سنة ١٩٢٣ ايضاً بيع بالمزاد في متحف القس مكروغور تحفة مصرية هي رأس صغير للملك امنمهات الثالث من الدولة الثانية عشرة وهو من السيج (الحجر الزجاجي الاسود) بقيمة عشرة آلاف جنيه .

كيف تحقق الآثار التاريخ ؟

من اقدم الآثار التي اثبتت العلوم والصناعات والاختراعات ما احتفر من عاديات المصريين والبابليين والاشوريين والفينيقيين فحقق وجودها ان تلك الامم عرفت كثيراً من ذلك مثل الكبرات او العدسيات التي وجدت في اطلال بابل والخطوط الدقيقة التي كتبت على الآجر فانها تدل على اتخاذهم تلك البلورات الكبرة لهذه الغاية وعرفوا الزجاج الشفاف والظليل الملون واتقنوا التطريز والتمويه بالذهب وغيره المعروف في ايامنا بالطلي وصقلوا الحجارة الكريمة ونقشوها بالقان وحفروا الترع وحنطوا الموتى و برعوا بعلوم الفلك والرياضيات فقسموا النهار الى ساعات ودقائق وثوان لا تزال دستور العمل بها الى يومنا . وعرفوا السنة الشمسية والقمرية وعينوا الكسوف والخسوف واقاموا المراصد واخترعوا المزاول و برعوا بالطب والكيمياء . والبناء المزخرف بالنقش والحفر والتصوير واقامة التماثيل . واتخاذ المكاتب والتأليف بالعلوم ووجود المعالم المعروفة اليوم

بالانسكلوبيذيات او دوائر المعارف والمدارس العالية . ووضع الشرائع او الاشتراع والتدين بصور مختلفة الى كثير من امثال هذا .

وعثر بعض المنقبين في الكسيك (اميركا) على كتابات تاريخية تشير احداها الى اكتشاف خمسة من الكهنة البوذيين الصينيين لاميركا في القرن الخامس للميلاد فعول المؤرخون على هذا الرأي وعرفوا ان هؤلاء اكتشفوا اميركة قبل الاخوة المغرورين (Magrorim) وهم ثمانية من العرب تركوا لشبونة لاكتشاف اميركة كما صرح بذلك المؤرخ الاسباني كوندي والشريف الادريسي في كتابه نزهة المشتاق وسمى طريقهم في لشبونة (درب المغرورين) الى يومنا وذلك قبل كولمبوس بستين سنة . وكشفت كتابة اسكندينافية على حجر بتاريخ سنة ١٣٦٢م تذكر ان ٣٠ رجلاً من اسوج ونروج وطئوا اميركا ووصلوا الى بلدة (ميناسوتا) قبل كولمبوس بمائة وثلاثين سنة ولكن الكتابة الاولى اثبتت ان فضل اكتشاف اميركة كان للصينيين . وربما ظهر ما ينقض هذا ايضاً .

ومن اهم ما افادت الآثار التاريخ قراءة الخطوط القديمة بمعارضتها والاطلاع على تاريخ الاقوام التي طمست آثارها فكان اكتشاف بعض الآثار المكتوبة وحملها الى كروئفند الالماني سنة ١٨٠٢ م سبباً حاملاً على قراءة الخطوط المسمارية التي كثرت في وادي الرافدين اي دجلة والفرات . فقرئت اخبار الامم التي ملأت تلك البقاع وعرف عمرانها وتمدنها . وكان هنري رولنصون الانكليزي قد قرأ خط صخرة بيهستون المسماري في كردستان سنة ١٨٣٧ ايضاً .

وهكذا كان الحال في قراءة الخطوط الهيروغليفية اي المصرية القديمة وكشف الاستار عن وجوه تاريخ الامة المصرية ومعرفة درجة حضارتها . والفضل في ذلك عائد لشامبوليون الفرنسي الذي قرأ حجر رشيد الهيروغليفي سنة ١٨٢٢ م وهو عمود منقوش بالقلم المصري واليوناني واللاتيني فحققت الآثار المكتشفة وستحقق ايضاً كل ما غمض من تاريخ المصريين وبلادهم .

وعرف من هذه الآثار وحل رموز اللغتين ان الخط المسماري له علامة تدل على الفاظ كثيرة والهيروغليفي له علامة تدل على لفظة واحدة .

واشتهر اوستن ليرد سفير فرنسه في الاستانة باكتشافاته الاشورية سنة ١٨٥٠

ولاسيما صفائح الاجر وهي نحو عشرة آلاف نقلها الى اوربة فتبارى العلماء في حلها وبرعوا بقراءة القلم المسماري فاجاز المسيو بولن ناظر المعارف الفرنسية المسيو اوبرت بعشرين الف فرنك لانه نجح بقراءة اللغة المسمارية . وهكذا كانت الابحاث متواصلة في تحقيق ما غمض من تواريخ الامم القديمة بوجود آثار عمرانهم في الانقاض وعين موضع نينوى انه في محل كوينجيك في شرق الموصل الجنوبي . وكالح في محل اخر بة نمرود في جنوبي الموصل الى جنوبي نينوى .

وجاء في التوراة حادثة الخلق والسقوط والطوفان وبرج بابل ويوسف في مصر وتفسيره حلم فرعون وحدوث سبع سني جوع ومثلها شبع وبناء سليمان الملك بلدة ماجدو (تل المتسلم) التابعة حيفا وحروب مواب واسرائيل واشور فاكتشف جورج سمث الانكليزي سنة ١٨٦٧ م كتابات على الغضار تثبت التكوين والسقوط والطوفان بتفاصيل اشبه بما دوّن في التوراة . وسنة ١٩٠٢م اكتشف دي مبلي شيئاً عن برج بابل يدل على بقائه في القرن الرابع بعد الميلاد وان بختنصر ملك بابل رممه في القرن السادس قبل الميلاد وانه مبني قبل ذلك العهد باثنين واربعين قرناً وعرف ان قياسه كان غريباً فطول اساسه من جهة واحدة ١٨٦ متراً وعلوه ٢٢٥ وسآمه التي يصعد عليها اليه ذات ٣٦٥ درجة وعين محله قرب طيسفون (المدائن) . ووجد الدكتور برغش سنة ١٨٩٠م قرب الاقصر في مصر عند ثيبة حجراً عليه خطوط هيروغليفية منها كتابة لاحد الكهنة معناها : « ان النيل لم يفض ماؤه سبع سنوات » وذلك يؤكد سني الجوع بزمن يوسف .

وسنة ١٩٠٤ م اعاد الحفر الدكتور شوماخر فاظهر في تل المتسلم (اي مجدو) اطلال قصر شيده سليمان وذلك يوافق كتابات تل العمارنة في مصر : ان سليمان شيد بلدة مجدو وبنى فيها قصراً .

وسنة ١٨٦٩م اكتشف المسيو غانو قنصل فرنسه في القدس حجر ديبون (ذيبان) قرب مادبا شرقي البحر الميت وهو من الحجر (Beselet — الاسود البركاني) وعليه كتابة سامية عبرانية بحرف فينيقي من ٢٤ سطراً محفورة لتضمن سرد حروب موآب واسرائيل على عهد يوشافاط ملك يهوذا ويورام ملك اسرائيل (٤ مل ٣:٤) كتبت سنة ٨٩٦ ق م فنقلت الى فرنسة .

وسنة ١٨٦٦ وجد جورج سمث الانكليزي كتابات على الاجر من عهد شلمناصر الثاني تؤذن بحرب حربه مع حزائيل ملك الشام .

وسنة ١٨٧٤ م بحث الدكتور شليمان الالماني الاثري عن اطلال طروادة قرب جبل اولمبوس في بوسه فوجد مدينة محترقة وعثر على قبر اغاممنون في ميسينا . وشاهد كثيراً مما يؤيد قول اومبروس في الياذته .

واكتشفوا منذ بضع سنوات قرب بوردو (فرانسه) اناووساً رومانياً من القرن الاول للميلاد فحفروا وجدوا هيكل عظام بالية والاخر فياسور يأ فيه خمر فاستدلوا منه ان العلاقات التجارية كانت متصلة بين اوروبة وسورية في ذلك العهد .

وسنة ١٨٧٩ — اكتشف الدكتور شليمان في طروادة كاساً مكتوبة تدل على ان التجارة كانت رائجة بين الصين واوربة قبل الميلاد بالف ومائتي سنة . ووجد ضمن تلك الكاس نسيجاً صينياً .

واكتشف في صيدا منذ سنوات قبر الاسكندر المكدوني ونقل الى المتحف العثماني في الاستانة وبقي العلماء على شك من امره الى ان ظهر قبر هذا الفاتح العظيم في تمثيس في القطر المصري فقطعت جهيزة قول كل خطيب وفسد الرأي الاول واثبت الثاني .

ولما اكتشفت آثار تل العمارنة قرب المنية في صعيد مصر سنة ١٨٨٨ م وهي سجلات الدولتين المصرية والسورية ومراسلاتهما في ايام امينوفيس الثالث وابنه امينوفيس الرابع قرأ الاثريون اسماء مدن سورية قديمة لاتزال على حالها الى يومنا مثل عكا وصيدونا (صيداء) وصورتي (صور) وبيروتا (بيروت) وجبلة (جبيل) وارواد (ارواد) ودمسقا (دمشق) وقطنا (قرب دمشق) فضلاً عن الاعلام اللبنانية مثل البقرون وجونيه وشكه والاعلام البقاعية مثل شتوره ومكسه فثبت قدم هذه المدن

وسنة ١٨٨٠ م ظهرت آثار بواسطة نقب المستر سمبسن المرافق للجيش الانكليزي الى وادي جلال اباد في افغانستان دلت على انه كان في ذلك الوادي قديماً من المتزهدين البوذيين اكثر من عدد سكانه اليوم .

واستدل هذا الاثري من نقود رومانية وجدها هناك ان بلاد الافغان كانت في القرون الماضية طريقاً للتجارة من اواسط اسيا الى بلاد الهند .

واستخرج الاستاذ سفنصن آثاراً قديمة من بلاد المكسيك الجديدة في الولايات المتحدة بينها صنمان مجنحان مصريا الشكل وآثار أخرى تشبه آثار الشرق القديمة . وكلها دلت على شؤون تاريخية جديدة كان المؤرخون في ريب منها فتحققوا امرها .

وذكر بروشيوس المؤرخ الكلداني من اهل القرن الرابع قبل الميلاد ان مملكة العمالقة العرب في العراق حكمت ٢٤٥ سنة وقام منها تسعة ملوك حكموا بين دولتي الكلدانيين والآشوريين وذلك من سنة ٢٤٦٠ — ٢٠٨١ ق م . فبقي قوله مشكوكاً فيه الى ان كشف دمرغان الفرنسي سنة ١٩٠١ م آثار سوسة بين النهرين على الآجر فنقلت الى متحف اللوفر في باريس . وظهر منها ان الدولة السامو آبية العربية خلفت العيلاميين واشتهر منها حامورابي وشريعته وكانت القابه « ملك بابل وسومار وعقاد وملك اربعة الارباع » . فثبت رأي بروشيوس وصح تاريخه .

وهكذا قل ان الآثار المصرية حققت اخبار دولها القديمة ومنها الرعاة (الهكسوس) الذين يترجح انهم من عمالقة العرب ايضاً . فصحح تاريخ مصر بعد اضطرابه .

وهكذا كانت آثار فينيقية المكتشفة في الايام الاخيرة ناقضة لكثير من اراء رينان الفرنسي الذي جاء لبنان سنة ١٨٦٠ م ونقد آثاره والف كتابه (البعثة الفينيقية) فصححت الآثار المكتشفة ما كتبه في بعض المواضع متكهناً .

ونحو سنة ١٨٩٥ م كان الارثوذكس في قرية مادبا في فلسطين شرقي بحيرة لوط يرممون كنيستهم فظهر عند الحفر فسيفساء كثيرة لم يبالوا بها اولاً فشيدوا الكنيسة ثم بدأوا ببناء دار ملاصقة لها فظهر لهم قطعة فسيفساء جميلة جداً كانت من بلاط الكنيسة القديمة تمثل مخططاً او مصوراً (خارطة) لبلادنا من لبنان الى مصر ومن البحر الى ما بين النهرين وفيها المدن والقرى وأسماؤها بديعة التلوين والرصف ولكن بعضها مهشم فبعد ان كانت مساحتها نحو ٢٨٠ متراً لم يبق منها الا ١٨ متراً سالماً تمثل بعض فلسطين وهي من عمل القرنين الرابع والخامس للميلاد .

وفيها اسماء مدن مجهولة اليوم يمكن تعيين مواقعها فضلاً عن اسمائها القديمة والحديثة باليونانية مع دقة اشكالها وابعادها واخص آثارها وبيان السهول والرعان والجبال والانهار ملونة بالوانها الطبيعية . فترى جزءاً من نهر الاردن بتعرجاته

وتعاريجه الكثيرة وفي مجراه الاسماك مع جسر شمالي اريحا الشرقي . وترى في بحيرة لوط المراكب الشراعية ثم تشاهد جزءاً من الغور وفيه غزالة يطاردها اسد الى اشباه هذه المشخصات البديعة .

واهم ما بقي منها صورة اورشليم في ذلك العهد وتخطيطها باحيائها وشوارعها وابنيتها بالوان تأخذ بمجامع الابصار رواءً .

فاقفار هذا المخطط علم رسم الارض (الجغرافية) والتاريخ فوائد جمة وصحح كثيراً من الاوهام في مواقع بعض المدن والقرى واسمائها فهكذا تحقق الآثار التاريخ .

وما تراه في غموض التاريخ العربي قبل الاسلام سيجلى باظهر بيان بعد حفر آثار شبه الجزيرة والوقوف على ما هنالك من الكتابات والابنية والنقود وما شاكل من الآنية والآثار والعاديات على اختلافها . كما فعل الاستاذ موزل النمسوي سنة ١٩٠٢ م باكتشافه قصر الخلفاء في صحراء البادية وقلعة العمرة وكثيراً من الاخربة والانقاض القديمة وغيره من الاثريين والحفارين .

وسنة ١٩٠٣ م اكتشف في حوران رسوم اوراق العنب وعناقيده يقال انها من نقش الحميريين العرب قبل اليونان والرومان فدل على صحة حضارتهم ونقوشهم .

وسنة ١٩٠٣ م ظهر في المدافن المصرية برديّ يحتوي على قصيدة (الفرس) لناظمها تيوناوس الشاعر اليوناني يصف فيها بكل دقة معركة سيلاميس الهائلة التي اندحر فيها اخسرخوس الفارسي من وجه اليونان فثبت بها صحة المعركة تاريخياً .

وسنة ١٩٠٥ م ظهرت اطلال وادي موسى عند حفر الطريق للسكة الحجازية وصح تاريخ مدينة الحجر اوبتيرا اوسالع ومن اهم تلك الآثار (قصر فرعون) و(خزنة فرعون) وغيرها مما وصفه بعضهم .

وسنة ١٩٠٨ م ظهر في مدينة جبيل اللبنانية تمثال بديع يمثل (هرمس) الذي كان عند اليونانيين اله الطرق والمسافرين والتجارة ورسول سائر الالهة وهو صخر بديع من الحجر الكلسي الصلب وربما كان من عهد خلفاء الاسكندر وهو يؤيد ماذكره التاريخ من حراسة طريق البحر في القديم بآلهة من اشباه هذه ولا سيما عند اليونانيين ولا يزال مضيق نهر الكلب شاهداً على ذلك الى يومنا .

ونحو سنة ١٩١٠ قرئ برديّ مكتشف حديثاً في مصر يؤيد ما في كتابي عزرا ونحميا من التوراة و يثبت صحة تاريخ العبرانيين في ذلك العهد . ومن عجيب ما رواه البردي المذكور ان ملوك يهوذا كانوا يبيعون رجالهم جنوداً للمصريين و يأخذون اثمانهم خيلاً وذلك يخالف الشريعة الموسوية و يدل على جور الملوك ومخالفتهم للشرائع . وفيه اقوال من سفر طوبيا والامثال واساطير ايزوب واشعار ديمقراطس .

واغرب من هذا وجود اجزاء فيه من كتاب احيقار المعروف عند العرب وله اقاصيص غريبة .

ووجد محراث اشوري في نفر (نيبور) ومعه وعاء لبذر الحبوب مما يدل على انه عند الحراثة يهتز الوعاء فتسقط منه الحبة اثر الاخرى وتظمر .

ونحو سنة ١٩١٢ م اكتشف هيلبرشت الاميركي قطعة آجر كتب عليها حادثة الطوفان تاريخها نحو الفي سنة قبل الميلاد فوافق ما فيها بل تمم ما رواه الكاهن البابلي باروز ونقله عنه يوسيفوس وغيره .

ونحو ١٩٠٥ م اكتشف الدكتور سالين النمسوي في تل تعنك اي مرج ابن عامر ابنية واواني من القيشاني والصيني كانت تصنع في فلسطين ولا سيما في زمن الكنعانيين فثبت بهذا أن القيشاني لم يكن من عمل العجم بل اقدم منهم اتصل بقاشاني ونقله الدمشقيون واشتهروا به .

وسنة ١٩١١ م كانت حكومة اسبانية تبحث عن مدينة عربية خفيت عن الاعين آثارها فوجدوها مطمورة تحت الارض واسمها (الزهراء) وضاحيتها تسمى (الزهيرة) او (بليس) على بعد قليل من قرطبة . فظهرت اطلالها البديعة ونقوشها الرائعة فثبت ما رواه التاريخ من انها موجودة لا مكذوب فيها وان فيها مدرسة كانت تمثل الاحياء بالصور والرسوم وكان الامير عبد الرحمن يعاضدها وامه المسيحية تنشطها وتدرّ عليها المال . ووجدوا هنالك كثيراً من انواع الخزف والمجزّعات والزجاج الملون من صناعات العرب في الاندلس .

وسنة ١٩١٣ م ثبت للاثريين موقع جرابلس او كركميش عاصمة الحثيين على ضفة الفرات بين حلب وبغداد وهي التي اشار اليها (سفر الاخبار الثاني ٣٥ : ٢٠)

بقوله : « وصعد نخو ملك مصر لقتال كركميش عند الفرات فخرج عليه يوشيا » وكان رولنسن الانكليزي ومسبرو الافرنسي قد ظناها منج قرب حلب ثم قرر سكان الانكليزي وجورج سمث وطنيه انها جرابلس فحققتها الآن البعثة الانكليزية فيها ولو قرئت الكتابة الحثية لظهر بهذه الاكتشافات غرائب . وكلمة جرابلس تحريف (هيرابوليس) اي المدينة المقدسة . وفي مجلتي الآثار وصف لهذه المدينة وآثارها المثبتة لتاريخها (٣ : ١٦١ و٢٥٣ و٣٥١) .

وسنة ١٩١٨ توفق الدكتور ريزنر الانكليزي في حفرياته في السودان المصري الى تحقيق ملوك ايثوبيه بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد فبعد ان كان المؤرخون لا يعرفون منهم الا ترهاقا وخلفه تانوتامون اظهرت الآثار منهم اثنين وعشرين ملكاً حكموا من سنة ٦٦٨ — ٣٠٠ ق م وكشفت قبور كل منهم ومن ملكاتهم وابنائهم فحققت سلسلتهم وعرفت أسرتهم . وكذلك كان المؤرخون في ريبة من امر الملك نستسين فتحقق انه وجد بعد كمبيز بقرنين لا انه كان معاصره فكانت الآثار ناقضة للاوهام التي كانت في تاريخ اولئك الملوك فسدت ثلمة في تاريخهم ومحا اليقين الشك بشأنهم .

وسنة ١٩١٩ م أعلنت المجلات الاثرية خبر اكتشاف مهم في علم الآثار وهو ان الدكتور فردريك هروزني استاذ اللغات السامية في جامعة فينه في النمسه قد اهتدى الى قراءة اللغة الحثية التي كانت قراءتها متعذرة كل هذه المدات على العلماء وما ذلك الا لعدم وجود كتابة حثية مع كتابة أخرى معروفة ليمكن مقابلتها وحل رموزها كما جرى في قراءة الكتابة الهيروغليفية المصرية والكتابة المسمارية الاشورية . فعالج كثير من العلماء حروف الحثية مقابلةً ودرساً وتحقيقاً فلم يظفروا منها بطائل الى ان بشرنا الصحف ان هذا الطبيب النمسوي قد قرأ الكتابات الحثية ووضع فيها رسالة بين اصولها وصفاتها مما دل على ان اللغة الحثية هي اخت اليونانية من اللغات الآرية او الهندية الاوربية مثل اليونانية واللاتينية . بعد ان كان العلماء يعدونها من اللغات الحامية . وكانت الحثية مستقلة عن اللغات الهندية الاوربية اي اللغات المشابهة للاتينية والهندية الايرانية والارمنية في القرن الرابع عشر والثالث

عشر قبل الميلاد . وان الحثيين انفسهم من سلالة هندية اوربية لا حامية ولكن امتزج بهم دم غير الدم الهندي الاوربي على طول الزمن . وان عمرانهم كان يضاهي العمران البابلي والاشوري . وكان اول ذكر لهذه الامة الحثية سنة ١٩٣٠ ق م . وهم الذين قضوا على دولة السموآيين التي نبغ منها حمورابي المشترع الشهير فخلفوهم في العراق . وبلغت دولتهم اوج مجدها في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد في عهد صبيلوليما وخلفائه وقد ملكوا كل أسية الصغرى حتى امتدوا الى سورية وفلسطين واتصلوا بالقطر المصري . وان نجم مجدهم اخذ بالافول في اول القرن الثاني عشر قبل الميلاد الى كثير من هذه التحقيقات .

وهناك امور كثيرة نحتاج في تفصيلها الى مجلدات اجتزأنا منها بهذا القدر . ويحسن ان نختم هذا البحث بملاحظات ذات شأن في الآثار : ان المؤرخين حتى عهد قريب كانوا قد اختلفوا بتسمية اسكندر المكدوني بذي القرنين فبعضهم قال انه كان له حصان بقرنين . وقيل كان للاسكندر ذؤابتان مرتفعتان تشبهان القرنين . وقيل لتملكه قرني الشمس اي المشرق والمغرب . ولكن الآثار التي ظهرت فيها نقود الاسكندر المضروبة بعهده دلت انه صور نفسه فيها بصورة امون الذي كان يمثل بقرنين كقرني الكبش فسموه بذي القرنين وهو اظهر الادلة على تلك التسمية . وهكذا تاريخ العرب في شبه الجزيرة ما زال غامضاً ولا سيما في زمن الجاهلية . ومع ذلك فان ما حققه السياح وما اكتشفه الاثريون وقرأوه من الكتابات رفع حجب الوهم عن اشياء كثيرة من عمرانها . فاكتشف أرنو سنة ١٨٥٣ خطوطاً واثاراً حقق بها اماكن صنعاء والخربة وحرم بلقيس ومأرب فوضع مخططاً (خارتة) لآثار سد مأرب الشهير ثم تعقبه كثيرون مثل هاليفي سنة ١٨٦٩ م فاكتشف بلاد الجوف التي مر بها اليوس غالوس الفاتح الروماني . ثم اكتشف في جهات نجران مدينة (معين) عاصمة المعينيين من دول اليمن العظيمة . وكما كثرت الابحاث الاثرية زاد تحقيق هذا التاريخ فعرفت الآن تواريخ دولة المعينيين والسبأيين والحميريين في اليمن والانباط والتدمريين والغساسنة في شمالي بلاد العرب . والسموآيين

او الحوراميين والخمبين في العراق . وايدت ماعرف عن القبائل البائدة مثل عاد وثمود وطسم وجديس وغيرها .

وها كم الان مثالاً مما حققته الاثار عن سكان بلادنا القدماء. فلولا الآثار — التي ظهرت في مصر ووصفت غزوة توطميس (تحوتميس) الاول ملك مصر الذي غزا سورية والعراق حيث نينوى وبابل سنة ١٦٥٠ ق م وهو من الاسرة الثامنة عشرة من الاسر المالكة في مصر — لما عرف المؤرخون ان سكان هذه البلاد القدماء هم اللوديون او الروتيون ويقال اللودانيون او الروتانيون وهؤلاء السكان الذين كانوا في هذه البلاد جميعها هم اخوة الارامبين وأقدم منهم في سكنى بلادنا . وأيد تلك الآثار القديمة مانقش على هيكل الكرنك في مصر ايضاً اذ ذكر أن توطميس الثالث نحو سنة ١٦٢٥ ق م جاء سورية لتدويخ الروتان الذين امتنعوا عن دفع الجزية التي صربها سلفه توطميس الاول عليهم . وظهر في المتحف البريطاني اثر من حلية المصرية يمثل رجالاً من هؤلاء السكان القدماء يقدمون الهدايا لفرعون او احد خاصته .

فنقض هذا الرأي قول المؤرخين ان سكان سورية القدماء هم الاراميون واثبت انهم هم اللوديون اوالروتيون كما سبق في محاضرة (حقائق تاريخية) صفحة ١٥٠

الختام

هذا قدمن قطر ونقطة من بحر من فائدة الآثار القديمة في التاريخ لان تفصيل ذلك يحتاج الى مجلدات ضخمة ومراجعات مسهمة على ان زبدة القول ان اسفار التوراة ولاسيما اسفار موسى الخمسة منها وتواريخ المصريين والكلدانيين والاشوريين والبابليين والماديين والحثيين والروتانيين والاراميين والفينيقيين والقرطجنيين والفلسطينيين والعبرانيين والفرس والعرب واليونان والاسبرطيين والمكدونيين والسلوقيين والبطالسة والمكابيين وممالك آسية الصغرى والرومان والافرنج كلها اليوم مصححة بحسب الآثار القديمة والعاديات وربما ظهر اشياء جديدة لنقض بها الآراء القديمة .

وكفى بهذه العجالة الآن شاهداً عدلاً وبرهاناً دامغاً على ان الاثار القديمة ليس جمعها من الكماليات بل من الضروريات وليس في جمعها والاستفادة من درسها الا تحقيقاً للتاريخ وتجديداً لذكرى الاسلاف .

* * *

فاناشدكم الله أيها الكرام ان لا يذهب بعضكم مع الهوى ويرمينا باللوم لعنايتنا بالمتحف والمكتبة فان في هذين ارتقاء الوطن وتحقيق تاريخه وترقية معارفه ورفع شأنه بين الامم المتمدنة .

فهلاّ نجاري الامم في حضارتها الراقية وهي شديدة الحرص على اقتناء مثل هذه النفائس ونقلها واذخارها في متاحفها حتى اننا نحتاج الى الوقوف عليها لمعرفة شؤونها .

فسلام على من اعتنى بحفظ آثار بلاده وحرص على بقايا قومه الدارجين . وسلام على حكومتينا الوطنية والمنتدبة الحريصتين على احراز آثار الامة وابقاء ماتركته لنا الايام منها محفوظاً عندنا مع ان مئات والوفاً منها يحرزها غيرنا وفقها الله وحفظكم خير ذخر للمدنية .

عيسى اسكندر المعلوف